بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــة

الحمد لله الَّذِي فطر الْخلق بقدرته وصنّفهم بِحِكْمَتِهِ على سَابق علمه ومشيئته وتقلّب كلٌ فِي مواهبه على وفق قدراته ، أنشأ الْأَشْيَاء كَيفَ يشَاءَ لَا معقب لحكمه وَلَا رادّ لأمره وَلَا اعْتِرَاض لمخلوق فِي قَضَائِهِ وَقدره، نسأله تعالى أن يكرمنا بالهداية الى الحق وينوّر قُلُوبنَا بالفهــم السليم ، ونحمده تعالى أن أكرمنـــا فجعلنا أهل عقل وتَمْيِيز وإرادة

اللهم فأخرجنا بها من ظلمات الجهل والوهم واعْصِمنا عن الميل واستدراج الهوى لنتبع سبيل الحق في الفكر الاعتقاد.

وأصلـي وأسلم على خير خلقه مُحَمَّد خَاتم النبين وَإِمَام الْمُتَّقِينَ وعَلى َأهل بَيته الطاهرين وَأَصْحَابه المنتخبين وَمَن بعدهمْ من التَّابِعين .

أما بعـــــد :

فما برحت العقائد حتى عصرنا تبني الرجال وتعدُّ الأمم والأجيال، فإذا ابتغينا تربية أمة من الرجال فيكون لها أثرها الفاعل في تصحيح حركة الحياة وبناء دولة مثالها دولة السلف الصالح رضوان الله عليهم، زعيمها رسول الله ﷺ فلا بد من تصحيح فهمنا لعقيدتنـــــــــــــــــــــا .

والقضاء والقدر من أخطر مفاصل العقيدة ، فالزلل في فهم القدر والقولُ بالجبر يُصيب الأمة بالشلل في الفكر والسلوك ويعرقل جهود السعي لإصلاح حركة الحياة ويطيح بآمــال البشرية في الأمن في الدنيا و النجاة يوم الوقوف أمام الحكم في الآخرة .

كل حركة وسكون في كون الله فقد وقع بعلم الله وضمن مشيئته ، وهو تعالى أراده ، وهو الذي خلقه ، وثم وقع موافقا لما كتب في اللوح .

وهذا الإيمان يُطمْئنُ النفس ويعزيها في الذي يفوتها، ويلهمها الاجتهاد في القادم ، فلا أرحم بالعباد من رب العباد ،وهذا ما توضحه الآيات (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣).سورة الحديد

إن كل شيء يقع على الأرض - حتى ورق الشجر - أو يجري على الناس، حتى النفَس الذي نتنفسه من قدر الله، ويقع حسب علمــه القديم، ثم أفرزت الآيـــــات حقائق ثلاثـة شديدة التأثير في معايش العبـــــــــــــــاد:

أولاً: عزاء النفس في كل فائت (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ).

ثانياً: عصمة النفس من الفرح القائــــد الى الطغيان والذي تشير اليه الآيــــــة (وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) فإن لم يقع (الطغيان) فلتفرح النفس، قال تعالى (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨).سورة يونس

قال عكرمة رضي الله عنه : ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا.. وهذا هو اعتدال الإسلام [١]



١ صفر ١٤٤١هـ

٣٠ أيلول ٢٠١٩م



قال جعفر الصادق رضي الله عنه : يا ابن آدم ما لك تأسى على مفقود لا يردّه عليك الفوت ، أو تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت .[٢]

ثالثاً: تأديب النفس فلا تتباهى بالنعمة فتتطاول على خلق الله (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨)(سورة لقمان) وهذا هو أثر الإيمان بالقدر في حياة الناس .

وقد وقفت جماعة من المسلمين في مبحث القدر عند هذا الحد، وعدّت أيَّ حوار فيه بدعة.

عدل الله في منحة الاختيار مقابل نفس العبد وتملّكها البدائل.

فالاجتهاد الفكري، وما نحتكم عليه من امكانات، وطاقات جنسية وعضوية، يمكن أن ترقى بنا الى مرضاة ربنا أو توقعنا في سخطه تعالى.

والاختيار - السر الذي منحنا الله إياه عدلا منه و وفاقـا مع تكريمه الإنسان - يوجّه إمكاناتنا إلى العفاف والطهر أو الدناءة والفجور، وإذا سُلب الإنسانُ حظه في الاختيار عُفي من الحساب؛ (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) سورة البقرة.

نعترف أن أعظم هبة إلهية للإنسان بعد العقـل هي الإرادة والقدرة على الاختيار

إذن هو الإختيـــــــــار

ففقدان القدرة على الاختيار يسقط عنك المساءلة ويعفيك من العقاب، ومن هنا يتوجب عليك أيها الإنسان الوثوق بأن كل فعل يصدر عنك هو بمحض حرية اختيارك ، وهو يوافـــــق ما قدَّره الله عليك بسابق علمه .

ولولا نعمة الاختيار لكانت الانسانية مجبرة على إيقاع الأفعال ولاحيلة للإنسان في زهد أو شَرَهٍ ،عفةٍ أواعتداءٍ ،طاعة أو معصية ولغدت الحياة مسرحية مملـّة ، والتكليف فيها والأوامر والنواهـــــــي لامعنى له

والقلب شعبة الإختيار

أي حركة تصدر عن الإنسان تتكلف خطوتيـــن بالتتابع:



الأولى النية والسريرة، ومكانها عقل الإنسان ومزاجه وفي قلبه.



الثانية، الشروع في التنفيذ عبرالجوارح

ومعلوم أن الخطوة الثانية - التنفيذ - قد تقع خطأً أوإكراهاً.

لكن الخطوة القلبية لا يطالـــها الإكراه، بل هي محض اختيار، فأنت تقدر على إرغام ولدك الجلوس للدراسة ولكنك لن ترغمه على حب الدرس.

يؤكد هذا الفصل قوله تعالى (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥). سورة الأحزاب

وقال تعالـــى (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ٢٢٥). سورة البقرة

فالفرق بين الإكراه والاختيار يحدده الفكر وجنوح القلب وشهوة النفس فالسريرة محل الاختيار المطلق، والعمل كل عمل، مرتهنٌ بوحي نيّــــــة، كما أوضح النبي ﷺ (إنما الأعمــــال بالنيات)[٣]







١ صفر
١٤٤١هـ

٣٠ أيلول
٢٠١٩م

استجابة الإنسان لغواية الشيطان

فمنطقة القلب هي الحرم الآمن لا يداهمه الشر إلا بترخيص وموافقة هواك وهذا ما صرح به القرآن قال تعالى (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ٤٢) سورة الحجر

وقمعُ رب العالمين الشيطانَ وصدُّه عن اقتحام القلب إلا بإذنٍ من صاحبه هوابتلاء جديٌّ .

و لقد اقتضت حكمة الله منح عباده حق الاختيار فلم يكرههم على شيء ولو كان الإيمان بالله، فضلاً عن إرغامهم على الكفر؟

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٩٩) سورة يونس

قال الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله ـ : " إن الله كما أنه الذي خلقهم ـ أي الناس ـ ، فإنه خلق ما به يفعلون من قدرتهم وإرادتهم ؛ ثم هم فعلوا الأفعال المتنوعة : من طاعة ومعصية ، بقدرتهم وإرادتهم اللتين خلقها الله (٤)

الفصل الأول
الإيمان بالقدر من أصول الإيمان

يتفق علماء الأمة أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، والنصوص الآمرة بالإيمان بالقدر كثيرة، فمنها قوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) [القمر: ٤٩] . وقوله: (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) [الأحزاب: ٣٨] ، وقوله: (ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) [الأنفال: ٤٢] . وقال: (وخلق كل شيء فقدره تقديراً)

عن عبد المؤمن بن عبد الله قال كنا عند الحسن البصري فأتاه يزيد بن أبي مريم السلولي يتوكأ على عصا فقال يا أبا سعيد أخبرني عن قول الله عز وجل: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} فقال الحسن: نعم والله إن الله ليقضي القضية في السماء ثم يضرب لها أجلا أنه كائن في يوم كذا وكذا في ساعة كذا وكذا في الخاصة والعامة حتى إن الرجل ليأخذ العصا ما يأخذها إلا بقضاء وقدر قـــال: يا أبا سعيد والله لقد أخذتها (أي العصا) وإنـــي عنها لغني ثم لا صبر لي عنها قال الحسن: أولا ترى (٥)

وَالسَّادِسُ الْإِيمَانُ بِالْأَقْـــدَارِ فَأَيْقِنَـــنْ بِهَا وَلَا تُمـــارِي
فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَـــاءٍ وَقَدَرْ وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسْتَطَـــرْ
لَا نَوْءَ لَا عَدْوَى لا طِيَـــرَ وَلَا عَمَّا قَضَـى اللَّهُ تَعَـالَى حِـــوَلَا
لَا غَوْلَ لَا هَامَةَ لا وَلَا صَفَـــرْ كَمَا بِذَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الْبَشَـــرْ (٦)

القدر في الفكر الجاهلـــــــــــــــي نظماً

عن أحمد بن يحيى بن ثعلب (٧) :قال القدرية من يزعم أنه يقدر ، ونحن نقول : لا نقدر إلا بقدر الله وبعون الله وتوفيق الله ، وإن لم يفعل ذلك بنا لم نقدر ، ثم أضاف : ولا أعلم عربيا قدريا . فقيل له : يقع في قلوب العرب القدر ؟ قال : معاذ الله ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره أهل الجاهلية والإسلام ، ذلك في أشعارهم وكلامهم كثير بيّن ، ثم أنشـــــــد:

تجرى المقادير على غرز الإبر فما تنفذ الإبـرة إلا بقـــدر

وقال لبيــــــــــــــــــد [8] :

إن تقوى ربنا خير نفـــــــــــل [9]	وبإذن الله ريثـــي وعجـــــــل
من هداه سبل الخير اهتـــــــدى	ناعم البال ومن شاء أضـــــل
أحمد الله فلا نـــــــدّ لـــــــه	بيديـه الخير ما شاء فعــــــل

وقال أمية بن أبي الصلت [10] :

خلــــــق الليـــــل والنهـــار فكل	مستبيـن حسابه مقـــــــدور

وقال النابغـــــــــــة الذبيانـــي [11] :

وليس امرؤ نائلا من هـــــــــــوا	هـ شيئا إذا هـــــــو لم يُكتب

وقال بعض أهل الجاهلية في تأكيد لعقيدة القدر [12] :

هي المقاديـــــــــــــر فلُمـني أو فذرْ	إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر



فما هو القضاء والقدر وهل هما واحد أم لكلٍ معنى

للعلماء في التفريق بين القضاء والقدر قولان:

الأول: القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق. يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: قال العلماء القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله [13] . وقال في موضع آخر: القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزيئات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل "[14]

الثاني: عكس القول الأول، فالقدر هو الحكم السابق، والقضاء هو الخلق.
قال ابن بطال: " القضاء هو المقضي [15] ومراده بالمقضي المخلوق، وهذا هو قول الخطابي، فقد قال في معالم السنن: القدر اسم لما صار مُقدَّراً عن فعل القادر، كالهدم والنشر والقبض: أسماء لما صدر من فِعل الهادم والناشر والقابض.
والقضاء في هذا معناه الخلق، كقولـه تعالى: (فقضاهن سبع سماوات في يومين) [16] أي خلقهن [17]

وسئل الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - عن القدر فأجاب شعراً قائلاً:

فما شئتَ كان وإن لم أشـــأ	وما شئتُ إن تشـــأ لم يكـــنْ
خلقتَ العباد على ما علمتَ	ففي العلم يجري الفتي والمُسِنْ
على ذا مننتَ وهذا خذلـتَ	وهذا أعنتَ وهذا لم تُعِـــــنْ
فمنهم شقي ومنهم سعيــــد	ومنهم قبيح ومنهم حَســــَنْ [18]

فالقضاء والقدر أمران متلازمان

بناء على هذا فهما أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، والعكس يصحُّ (فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه) [19]

تأصيل الإيمان بالقدر من السنة و تقدير المقادير قبل خلق السموات والأرض

مُستندُ وجوبِ الإيمـانِ بالقـــدرِ حديثُ جبريلَ المشهورِ والمتضمنُ حـــواراً بينــه وبين رسول الله ﷺ [20]

١ صفر
١٤٤١هـ

٣٠ أيلول
٢٠١٩م



وكذا فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دخلت على أبي عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال: أجلسوني فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قلت يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال أكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة: يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار (٢١)

القلم يكتب القدر

وهذا الذي كتبه القلم هو القدر

تغليـــــظ العقوبة على المكذبين بالقدر

وقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ رَجُلًا قَدِمَ عَلَيْنَا مُكَذِّبٌ بِالْقَدَرِ، فَقَالَ: دلوني عليه، وهو يومئذ أَعْمَى، فَقَالُوا: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ لَأَعَضَّنَّ أَنْفَهُ، حَتَّى أَقْطَعَهُ، وَلَئِنْ وَقَعَتْ رَقَبَتُهُ فِي يَدِي لَأَدُقَّنَّهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "كَأَنِّي بِنِسَاءِ بَنِي فَهْمٍ يَطُفْنَ بِالْخَزْرَجِ تَصْطَكُّ أَلْيَاتُهُنَّ مُشْرِكَاتٍ. "، فَهَذَا أَوَّلُ شِرْكٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يُخْرِجُوا اللَّهَ مِنْ أَنْ يُقَدِّرَ الْخَيْرَ، كَمَا أَخْرَجُوهُ مِنْ أَنْ يُقَدِّرَ الشَّرَّ (٢٢) .

فمن كذّب بالقدر وإن كان مسلماً فقد حُرِمَ الجنة

وقد ورد عن النبي ﷺ التحذير من التكذيب بالقدر، وذلك في الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر (٢٣)

بل ويحرق في النار

يؤكده ﷺ بقوله : فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار (٢٤)

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر، فنزلت: (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر - إنا كل شيء خلقناه بقدر)(٢٥) (القمر: ٤٨- ٤٩)

عمل العبد وإن صلُـــحَ مردود حتى يؤمن بالقدر

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ــ أي الذين يكذّبون بالقدر ــ فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ (٢٦)

فالقدر هو قدرة الله.

وقد نقل ابن القيم: عن الإمام أحمد قوله : القدرُ قدرة الله (٢٧) وهو كما قال أبو الوفا، فإن إنكاره إنكار لقدرة الرب على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها "

ويؤكد ابن القيم هذا المعنى شعراً فقــــــــــــــــــــــــــــــــــال:

فحقيقة القدر الذي حار الورى	في شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد	لما حكاه عن الرضا الربان
له قال الإمام شفى القلوب بلفظةٍ	ذات اختصار وهي ذات بيان

يقول النووي رحمه الله تعالى في شرحه لأحاديث القدر من صحيح مسلم: " وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها (٢٨)

تحليل عقيـــدة القدر في فكر عليٍّ بن أبي طالب

وقد أوضحه سيدنا عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه بأوضح بيان ، إذ سئل عن القضـــاء والقـدر فقال :ويحك لعلّك ظننتَ قضاءً لازماً وقدراً حاتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشيطان وخصماء الرحمـن .

إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يكلّف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعصَ مغلوبـاً، ولم يُطـعْ مُكرِهـــاً، ولم يرسل الأنبياء لعبـــاً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثـــاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ثم قـــــــــــرأ قولـــــه تعالـى (٢٩) : ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّار



١ صفر
١٤٤١هـ
٣٠ أيلول
٢٠١٩م



١ صفر
١٤٤١هـ
٣٠ أيلول
٢٠١٩م

الفصل الثاني
تاريخ بدء الحجاج في مبحث القدر

أول توجيه للنبي ﷺ لأمته

لقدبين الرسول ﷺ أن التوكل واستثمار الأسباب من القدر لا ينافيه ولا يناقضه، وحذر الأمة من المتمردين على القدر، أو يعارضون به الشرع.

و روي عن غضب الرسول ﷺ غضباً شديداً ساعة خرج على أصحابه يوماً وهم يتنازعون في القدر، حتى احمرَّ وجهه، حتى كأنما فُقئ في وجنتيه الرمان، فقال: " أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه " (٣٠)

امتثال الصحابة فأ عرضوا عن الخوض في القدر

واستجاب أصحابه رضوان الله عليهم لعزيمة نبيهم وتوجيهه، فلم يُعرف عن أحد منهم أنه نازع في القدر في حياة الرسول ﷺ أو بعد وفاته.

ولم يَرِدْ جدال في القدر على عهد الخلفاء ،وكل ما ورد إلينا أن أبا عبيدة عامر بن الجراح اعترض على رجوع عمر بالناس عن دخول الشام عندما انتشر بها الطاعون، وقال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين أفراراً من قدرة الله ؟

فقال عمر: " لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرٌّ من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت إن كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان: إحداهما خصيبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدرة الله (٣١)

دوافع الاختلاف

في البدء نستحضر تأصيلاً لحقيقة الاسباب وراء كل اختلاف وقع ويقع في صفوف الأمة يقدمه سيدنا عليٌّ بن ابي طالب رضي الله عنه كي نحدد حقيقة دوافع الاختلاف فيقول :

إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع . يخالف فيها كتاب الله ، ويتولى عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله ، فلو أن الباطل خلص من مزاج الحق، لم يخف على المرتادين ، ولو ان الحق خلص من لبس الباطل، لانقطعت عنه ألْسنُ المعاندين ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث فيمزجان ، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى (٣٢)

أول من تكلم بالقدر

وثم فإن أول من أثار الجدل و تكلم في القدر رجل من أهل البصرة يقال له سَنْسَويه، كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصَّر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد (٣٣)

وعن يونس بن عبيد: " أدركت البصرة وما بها قدري إلا سَنْسَويه ومعبدالجهني، وآخر ملعون في بني عوافة (٣٤) "

وروى مسلم في صحيحه عن بُرَيْدة بن يحيى بن يعمر : " كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني " وذكر بريدة في حديثه أن معبداً ومن معه يزعمون " أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف (أي: مستأنف لم يسبق لله تعالى فيه علم) (٣٥)

موقف الصحابة الأحياء منهم آنذاك

وهؤلاء تبرأ منهم من سمع بهم من الصحابة كعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وابن العباس، وأنس بن مالك، وعبدالله بن أبي أوفى، وعقبة بن عامر الجهني، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم (٣٦)

انتشار الفكرة ونشوء الفرق

ثم أخذ هذا المذهب عن معبد رؤوس الاعتزال وأئمته كواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وغيلان الدمشقي.

يقسم الفعل في حركة الإنسان
فعل يقع على الإنسان مجبر عليه
فعل يقع في الإنسان مجبر عليه
فعل يصدر عن الإنسان مخير فيه

الأول : مجبر عليه

يقال لبعضها بالمفهوم المعاصرحركات لاإرادية تتمثل في التنفس وضربات القلب ، أي عمل أجهزته فلاسلطان للإنسان عليها ، وكذ فاللون والطول والموت والمرض فلا اختيار له فيها وتلك والله رحمة منه تعالى بالإنسان فلو كانت بخياره لشق عليه إدارة كل فعاليات بدنه بل يستحيل عليه النوم والراحة والعيش ولا.سيما من لاعقل له بل ستقع فوضى في البشرية تتنافى وكمال خلق الله تعالى الله عن ذاك ، وهذا الفعل ليس مناط تكليف .

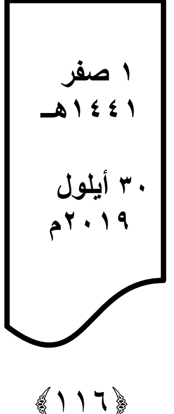
الثاني : مجبر عليه

فعل يقع عليه من خارجه لاسلطان له فيه من ضرب أو دفع أوسحب أوإيذاء فهذا الفعل هو الآخر لادور للإنسان فيه وهو ليس مناط تكليف .

الثالث: مخير فيه

كل فعل يصدر مني أتحرك اليه أوجه له إرادتي أفعله أو لا أفعله ،وهذا مناط التكليف وواقع في حمى مسؤليتي أي سأحاسب فيه.









وإذن فإن حركة الإنسان في يومياته من حيث التأثير نوعان

حركة أجبرعليها	حركة هو اختارها

والنوع الثاني من الحركة - الاختيارية - مدار الاختلاف بين الناس تتطلب إعادةالبحث إذ هي مناط التكليف (أفعل ولا تفعل)

قولـــــــــــةُ إنصــــــــافٍ لدوافعَ ما ذهب اليه البعض من الفرق

ولقد استقبل العلماء تحليل هذا النوع من الحركة ـ الإرادية ـ بشيء من التطرف ذهب بهم ـ إن نحن أحسنا الظن ـ الى إثبات صفة من صفات الله وتقويتهـــا في نفس العبد

فالذين قالوا بالجبـــــــــر

مرادهم أن الله هو القاهر على عباده والقادر وسلطانه قائم في ملكـــــه

والإنسان مجبر على الفعل ليثبتوا لله كمال القدرة والهيمنة على على عباده وليس للإنسان أن يتفلت من قانون الله وان تمــــــــرّد.

والحق أن هؤلاء وإن سعوا الى إثبات صفة القدرة والقيومية لله إلا إنهم يحيفون على صفة العدل لله في منح الإنسان مساحة من الحرية والإختيار ليقوم على أساسه التكليف ثم الحساب ثم الجزاء

والقدرية هم الذين قالوا بالحرية والإختيار المطلق

فذهبوا الى القول بان الكسب هو أحداث العبد لفعله بقدرته ومشيئته استقلالاً وليس للرب دور فيه ولا هو خالق فعله ولا مكونه ولا مريدٌ له [٣٧]

ومرادهم ـــــــــــــــــــــــ أن كل فعل أراده الله فإنه يحبه، فلما جاءوا إلى الكفر قالوا: لا يريده الله؛ ولو أراده الله لأحبه، والله لا يحب الكفر ولا يرضاه، وكذا سائر الذنوب والمعاصي. فأخرجوا الذنوب والمعاصي والاأفعال القبيحة والمذمومة عن إرادة الله عز وجل، وجعلوا الإنسان العاصي أو الذي يأتي الخبيث خالقاً لفعله .

مزاعم مفكري الإعتزال في توجيه القول في القدر

زعم واصل بن عطاء رأس الاعتزال، أن الشر لا يجوز إضافته إلى الله، لأنه سبحانه حكيم، ولا يعقل أن يريد من العباد خلاف ما يأمر، ويحتم عليهم شيئاً، ثم يجازيهم عليه.

وقرر في مقالته تلك أن العبد هو الفاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وهو المجازى على فعله، والربُّ تعالى أقدره على ذلك كله [٣٨]

وذهب النظام من المعتزلة هو الآخر إلى القول بأن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي، وليست هي مقدورة لله [٣٩]



١ صفر ١٤٤١هـ
٣٠ أيلول ٢٠١٩م





نشوء الفرق الجبرية والقدرية

وليكون ذلك الفكر إيذاناً لنشوء الفرق وهي التي أطلق عليها علماؤنا: اسم القدرية والجبرية . وكلٌّ بحسب فكرهم ومذاهب التعليل والتحليـــــل عندهم .

فهولاء يضيفون الخير فحسب إلى الله تعالى، والشر إلى غيره.

وهولاء ينفون وقوع أي فعل إلا بأمر الله وسلطانه ويصادرون اختيار الإنسان فلارأي ولا إرادة للإنسان بزعمهـــم .



العدد ٥٩

١ صفر ١٤٤١هـ

٣٠ أيلول ٢٠١٩م

والحق أن الله تعالى (خالق الخير والشر جميعاً، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه سبحانه خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما من عبـــاده فعلاً واكتساباً) (٤٠)
وأن للإنســـان حريـــة الإرادة والإختيـــار ،وغفـــر الله لكل مجتهـــد صـــادق.

الغرب ومفهوم القدر عندهم يقابل التفاؤل والتشاؤم

ذهب الغرب الى التماس القدر في صفات شعورية يعالجها الإنسان فاعتبروا التفاؤل أوالتشاؤم هوالمحدد لحركة الإنسان ، فعكف مفكروهم على دراسة يوميات الناس بحثاً عن آثارمباشرة فأدركوا حقيقة أن من أحسن الظن وتفاءل لقي من الخير مايتفق وهواه ،ومن أيس وتشاءم وقع مايكـــره ، وإن تكن هي السنة عند المسلمين فقد أسموها بـــ قانون الجذب - المزعوم - وزعموا أن قوةً ما تخرج من جسد الإنسان هي من تستدعي الوقائع المختلفة فتتغير مقادير الناس وفق الطاقة التي تنبعث من كل شخص الى الخير والصلاح أوالسوء.

والحقيقة أنهم ضلوا في فهم حسن الظن بالله وتقييـــم التفاؤل وفعلها الحاضر في حياة الإنسان، في الوقت الذي كان هذا الأمر أساساً من أسس الإيمان بالله في إسلامنا ومظهر من مظاهر حسن العلاقة بين العبد المؤمـن وبين ربـه الذي يدبـــــــر كل شؤونه.

ولعل الحوار الدائر بين رسول الله ﷺ وبين الأعرابي الذي مرض فأتاه بقصد عيادته يوضح بدقة فاعلية التفاؤل (أي حسن الظن بالله) وأدنـــــــــــــــــــــــاه نص الحوار :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ قَالَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ فَقَالَ :
لَهُ لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ (أي الأعرابي): قُلْتَ: طَهُورٌ ؟ كَلا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ أَوْ تَثُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَنَعَمْ إِذًا ؟ (٤١) .

وهذا الحديث يفصل الأمر في عاقبة أدب الصبر على الضراء أو الضجر منه والتشاؤم بالموت وأثر ذلك في وقوع القدر، فحين اعترض الأعرابي على تفاؤل النبي ﷺ بزوال الألم والطهور من المرض فقد أحال اعتراضُه الأملَ بالله في رفع ضرٍّ الى يأسٍ يُهلك صاحبه فيكون عاقبةُ مرضه الموتَ تماما كما تشاءم هو لأن قول النبي ﷺ (فنعم إذاً) معطوف على قول الأعرابي وكأنه يقـول ما دمت ترى ذلك فأنت من سعى الضرر على نفسه بفقدك الأمل وسيتحقق قولك.



ومما لا شك فيه أن الآلام تصيب الناس قد يُلحق بهم اليأس ، فدرجات إيمان الخلق متفاوتة ومن الناس من يتماسك ويتقرّب من ربه في حين ينهار آخرون كصاحبنا الأعرابي، ولكن التوجيــه الذي يسعى ﷺ لأنْ يربيِّ الأمة عليه هو أن نحسن الظن بالله ، لتكون السراء خيراً ويستحيل الضُرُّ خيراً هو الآخر وهذا دليل على أن الأقدار هي فعاليات العباد فإن آمنوا وايقنوا أنهم قادرون بتوفيق من الله على تجنب الشر و ثم الأمل بالله في تنـــزّل الخير وتطهير ذواتهم من الشك وسوء الظن وضعف الإيمان. وهذا والله الذي لم يدركـــه الغرب ألا وهو أن حســن الظن بالله يحـدد ملامح قــدر الله إن كان خيراً فهـــو خيرٌ وإن كان غير ذلك فهو على وفـــق ما ظن بربـــه.



١ صفر ١٤٤١هـ
٣٠ أيلول ٢٠١٩م



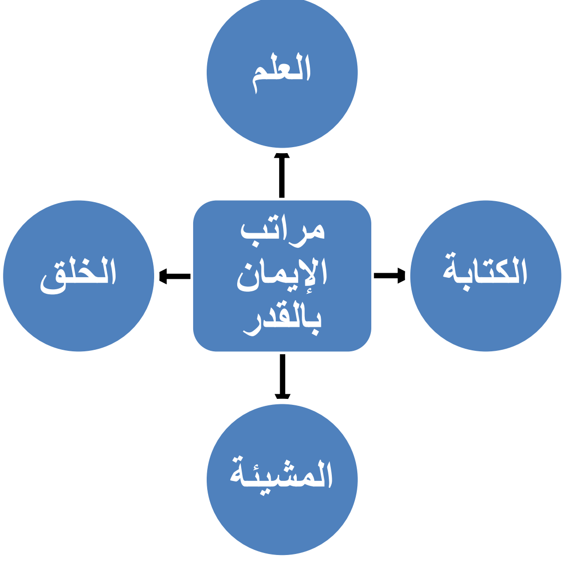


الفصل الثالث
مراتب الإيمان بالقـــــــــــــدر

بعد سوق جملة من الآيات في كتاب الله عز وجل، وما روي من سنة النبي ﷺ نستدل دلالة قاطعة على إثبات القدر، كما نقل إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علماء الأمة؛ ومما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعتها ومعصيتها.

مراتب الإيمان بالقدر ليس من فكر السلف

لن ينتظم إيمان العبد ولن يستقيم حتى يؤمن بأربع مراتب، ومن تمـــــرّد على مرتبة منهالم يؤمن بالقدر، وقد كان السلف لا يقسمون الإيمان بالقدر على تلكم الأربع مراتب، بل كانوا يأتون بها مجملة، وإنما وضعت هذه التقسيمات في مراحل متأخرة من قبل أهل العلم ولذلك بدّعها في حينها أهل الإيمان بدعوى الخروج على منهج السلف،فالسلف رحمهم الله لم يحددوا الإيمان بالقدر على أربع مراتب .



نظمها بعضهـــــــــــــــــــــــم فقال:

علـــم كتابــــــة مولانا مشيئته	وخلقـه وهو إيجاد وتكوين

✓ **المرتبة الأولى: العلم**

وهو أن تؤمن بعلم الله تعالى السابق لِكل شيء: ومما يدل على ثبوت علم الله بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون

وقال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} [الجاثية:٢٣] قال المفسرون: أي: هذا الضال يعلم الله برضاه عن ضلاله، تصديقاً لقول الله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت:١٧].



أما ابن عباس فقد قال في تفسير قوله تعالى: {وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} [الجاثية:٢٣] أضله الله لسابق علمه أنه محل للضلال، فلا يصح أن يكون مسلماً،

ومما يدل على علمه تعالى فتنتـــه الكبراء بالعبيد وثم فضل العبيد عليهم؛ لحقيقة علمه بما سيصدر عنهم قال: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ} [الأنعام:٥٣]، أي: الفقراء {مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} [الأنعام:٥٣] فأجابهم الله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام:٥٣]

كما أن اختيار النبي ﷺ واختيار صحابة رسول الله كان بسابق علم الله بصلاحهم وامانتهم في تحمل أعباء الرسالة وتبليغها البشرية .

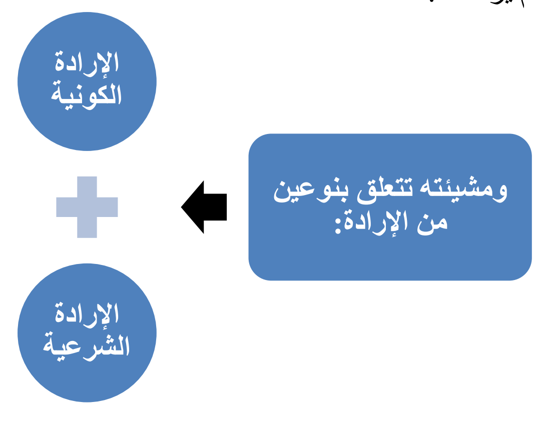
✓ **المرتبة الثانية: الكتابة**

وهي تلي العلم، ذلك أن الله قد كتب ما علمه من أحوال االعباد فهو سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الخلق كتب ما علمه من شأن الخلق، ومن أحوالهم إلى أن يصل العمل بأحدهم إما إلى الجنة، وفق طاعته عن اختيار، وإما إلى النار، جراء عصيانه عن اختيار، فكتب مقادير كل شيء، {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} [يس:١٢]

وجاء في المسند أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه كتابان: كتاب في يده اليمنى وكتاب في يده الأخرى، فقالوا: يا رسول الله! ما هذان الكتابان؟ قال: هذا كتاب بيد ربي اليمنى فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وأجمل عليه - أي: أغلق فلا يزاد ولا ينقص- وفي اليد الأخرى أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم وأجمل على ذلك، ثم قال ﷺ: وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، ويكون من أهل النار فيختم عليه بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ويكون في الكتاب من أهل الجنة فيعمل بعمل أهل الجنة ويختم له بعمل أهل الجنة) وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ في السنن: (إن الله إذا أحب عبداً عسلة قالوا: يا رسول الله! وما عسلة؟ قال: إذا أحب الله عبداً وفقه لعمل الخير، فأماته عليه فختم له بعمل الخير، وإذا أبغض الله عبداً يسر له عمل أهل النار فختم عليه به) [٤٢]

✓ **المرتبة الثالثة: المشيئة**

وتعني أن الله كتب ماشاء سبحانه وتعالى، ولا يمكن وقوع شيءفي كون الله عز وجل وفي مخلوقات الله لم يرده الله.





١ صفر ١٤٤١هـ
٣٠ أيلول ٢٠١٩م

معنى الإرادة الكونية: أن الله سبحانه وتعالى أراد خلق كل شيء وبناءً على هذا المعنى للإرادة فإن الكفر مما أراده الله، والمعاصي وكذلك الإيمان والأعمال الصالحة والأنبياء والصالحين والطيبين من الناس والعبّاد والزهّاد والمجاهدين ونحو ذلك، كل ذلك أراده الله أن يوجد في هذه الأرض، كما أن إبليس والكفار وأعداء الدين مما أراد الله أن يخلق وأن يوجد في الكون، فالإرادة الكونية ـ كما أشرنا- هي بمعنى الخلق؛ فالله خالق لكل شيء، ولو لم تكن صالحة نافعة، بل ضارة مؤذية ولو لم يحبها الله ، فيخلقها وهو كارهٌ لها مبغضها، فقد خلق إبليس رغم بغضه له، وخلق الكفار رغم بغضهم،

ولكن ما الحكمة من خلقها وهو يبغضها؟ الحكمة هي الابتلاء، ولقد أعلنها الله في غير موضع{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود:٧] ليبتلي بها العباد ثم ناظر ، هل يتبعون الرسل أم يتمردون؟

بينما الإرادة الشرعية، تعني موافقة محبة الله تعالى ورضاه، فهذه الإرادة هي التي أمر على وحيها بالأوامر الشرعية، ونهى بها عن المحرمات، وهنا يفهم الإنسان أ ن الله تعالى له إرادتان: إرادة بمعنى الخلق، وإرادة بمعنى الشرع والأمر.

وحين يقرأ الإنسان قوله تعالى: {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر:٧] يعلم أن المعنى: لا يريده ولا يحبه، والرضا قدر زائد على الإرادة، فهو شبه مستقل عن صفة الإرادة، وإذا تساءل العبد: مادام لا يرضاه فلماذا يريده كونـــــاً ــــ أي يوجده ـــ؟

ونؤكد فنقـــول : ليبتلي الله عز وجل العباد.

✓ **المرتبة الرابعة :الخلق**

هي خلق أفعال العباد.

كما أعلنها الله سبحانه وتعالى حين قال: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات:٩٦] فهو الذي خلق الإنسان وخلق عمله، وخلق كل شيء

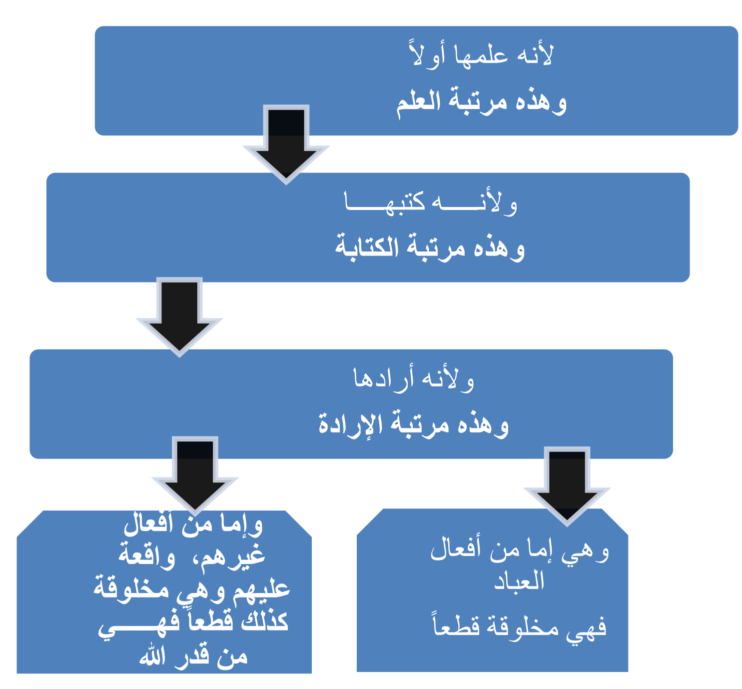
{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [٤٣] ويدخل فيه أعمالنا الصادرة عنا فنحن لا نقوى على عمل إلا وقد خلقه الله تعالى لنا؛ لأن كلينا مخلوقان، ـ نحن وأعمالنا ـ وما يصدر عن المخلوق فهو مخلوق بطبعه.

بهذه الأربع المراتب يفهم الإنسان حقيقة وقوع الفعل وهو من القدر، فنخلص الى القول:

إن كل فعل يقع من العبد حسناً أم قبيحاً أحبه الله أو أبغضه فهو من قدر الله ومن خلق الله.

فإن حار إنسان في الجمع فقال: كيف تكون من قدر الله؟ فالجـــواب







وبغية فض الاشتباك الذي قد يقع في الفكر بين سلطان الله على العبد وجبره على إيقاع الفعل وبين حرية العبد في إيقاع ذات الفعل وبمحض اختياره ومن ثم تحملـه كامل تبعة ما يوقعه ، سنقـــــــــــدم مثالاً يوضح الفصل في السلطات بين الله وبين عباده

مثـــــــــــــــال الزانـــي

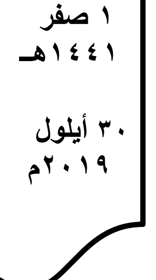
فالرجل حين يوقع فعل الزنــــــــا فيمر الفعل على مراحل القدر الأربع وكما يلـــي :

العلـــــم ـــــــــــــــــــــــ فالله يعلم قطعا منذ الأزل بماسيوقعه العبد - فعل الزنا- وعلمـه بما سيفعل العبد لايعني جبره على إيقاع الفعل.

الكتابة ـــــــــــــــــــــــ ونحن نؤمن بأن كل ما يقع في الكون علمه الله وأمر القلم بكتابته فكتب مقادير كل شيء يتعلق بأحوال خلقه حتى من قبل الخلق، فكتب الله جريمة الزنى التي علمها عن عبده حتى من قبل وقوعهـــا

وكتابته تعالى لفعل الزنا ال لايعني جبره العبد على ذلكم الفعل.

المشيئة ـــــــــــــــــــــــ كل فعل يقع في هذا الكون أراده الله أن يوجد ونؤمن أنه قد وقع بمشيئته وهو فرع عن إيماننـــا باستحالة وقوع أي فعل في كون الله بخلاف مشيئة الله ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ الله لم يكن ليقع بالمطلق ، ومشيئته تعالى هنا جاءت أثراً عن علمه بنيّـــة إقدام العبد على ارتكاب جريمة الزنـــى



ومشيئته تعالى وإرادته لإيقاع ما يريد العبد ويهوى لايعني جبر العبدعلى إيقاع ما يكره .

الخلــق ـــــــــ وهنا تنفصــل السلطات بوضوح بين الخالق والعبد وكما يلـــي :
نحن نؤمن بأن الله الذي خلق الإنسان قدخلق عمله، وخلق كل شيء، فخَلَقَ أعمالنا الصادرة عنا إذ أننا لا نقوى على مباشرة وتنفيذ أي عمل إلا وقد خلق الله تعالى فينا القدرة ؛ فأقدرنـا عليه ـ خَلقه ـ فكلانا مخلوقان، - نحن وأعمالنا - وما يصدر عن المخلوق فهو مخلوق بطبعه.فنحن من أردنا الزنا واشتهته أنفسنا فخلقه الله - فعل الزنا - فينا على وفق إرادتنا واختيارنا ولو اختار العبد زوجة صالحة تشتهيها نفسه لأقدره الله على إتيانها وهذا ما يقود الفكر الى تصوّر إرادة العبد واختياره فهذا سلطان العبد،
أوخلق الله تعالى القدرة فينا لأيقاع أي فعل ـ خلق أفعالنا ـ وفق اختيارنا وذاك سلطان الله.
فخلقه تعالى لقدرتنا على الفعل وخلق ذات الفعل الذي نريده نحن ونؤتيه ، لايعني جبر الله العباد على إتيانه .

<u>ليس للعبد الاحتجـــــاج بالقدر حال وقوع المعصــــية</u>

فلا يحق لعبد الاحتجاج بقدر الله ومشيئته على ما يوقعه من معصية أو كفر، وقد استبق رب العزة وقوع الأحداث فعلم مقالتهم قبل أن يقولوها ورد عليهم فقـــال:

﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شي كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (٤٤)

وتفسير النص :أي هل اطلع االمحتج هذا على علم الله فأدرك أنه قد قدر له أن يسيء فأساء ، ثم إن قدر الله غيب لا يعلمه إلا الله ، سبحانه وتعالى عما يقولون

فــلا يليق بصاحب عقل أن يقول : كتب الله علي أن أسرق فأمضي لإنفاذ قدره، فهل اطلع على اللوح المحفوظ فقرأ ما فيه.

<u>حركة الفكـــــــــــــــر في فك شفرة القدر</u>

نقل ابن حجر العسقلاني عن أبي المُظَفَّر السمْعَاني قولـه: (سبيل المعرفة في هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضلَّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين، ولا ما يطمئن به القلب، لأن القدر سِرٌّ من أسرار الله تعالى، اختص العليم الخبير به، وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب) (٤٥)
ويؤكد الطحاوي مذهب السمعاني فيقول : (وأصل القدر سرّ الله تعالى في خلقه، لم يطّلع على ذلك ملكٌ مقرب، ولا نبيٌّ مرسل) (٤٦)
وقال الآجُـــرِّيُّ: لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث في القدر، لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم



١ صفر ١٤٤١هـ

٣٠ أيلول ٢٠١٩م

لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق [٤٧]

لم يترك علماؤنا فرصة التعليق والتحليل فقد أفادوا فنخلص الى الـــــــــــــقول:

إن القدر من أسرار الله فقد استأثر به سبحانه وتعالى فلم يطلع عليــه أحداً من خلقه رحمـــة بالعباد ليعملوا ويجتهدوا أمـــــلاً بمرضاته في الآخرة .



١ صفر
١٤٤١هـ
٣٠ أيلول
٢٠١٩م



١ صفر ١٤٤١هـ
٣٠ أيلول ٢٠١٩م

الفصل الرابع
مقاصـــــــــــد الإيمان بالقضاء والقدر

إن سنة الله في الكون أقتضت خلق الحياة بنمط الأضداد ، فرح وحزن، غنى وفقر، صحة وسقم، حياة وموت، ... تلك أحوال الإنسان على وجه الأرض،

الناس في مواجهة تلكم التقلبات على صنفين

صنف: شاكر صبور

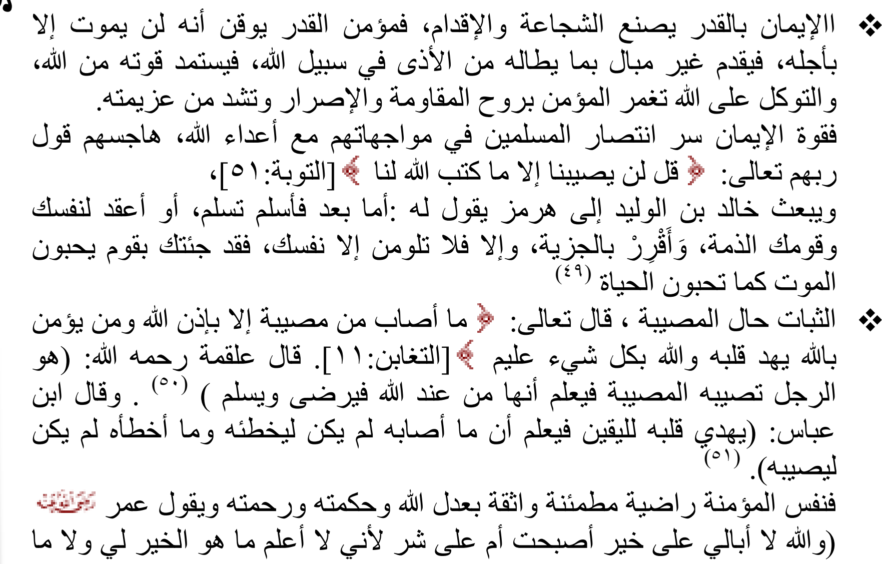
وصنف: يؤوس كفور، ساخط

فالصنف الأول راضٍ مستأنس بكل قدر ينزل به،وسرُّ هدوءه؛ إيمانٌ مطلق بأن الله قدَّر وفق حكمةٍ ، وسنةٍ عادلة، فهو ساكن القلب، مطمئن الفؤاد.

وتلك من أعظم مقاصد الإيمان بالقدر وهو حفظ توازن الانسان وتماسكه في الحياة ، فالإيمان بالقدر يلهم العبد قوة وإرادة تؤهلانه لمواجهة مشاكسة الدنيا (سرابتلاء الله).

ومن مقاصد الإيمان بالقدر:

- أنه من تمام الإيمان ولا يتم الإيمـــان إلا به ،وتحديداً فالإيمان بالقدر من تمام الإيمان بالربوبية لأن قدر الله من أفعالــــــــــــــــــــــــــــه.
- يمنح الانسان فرصة حقيقية لاستثمار نعمة ربه وهي منحة الإرادة والاختيار فيفعل مايشاء بحرية وفق معتقده و بما يتوافق ومقامه الكريم الذي رفعه ربه اليه.
- الإيمان بمطلق القدر يمنح العزة للمؤمن فلا يذل لأحد فقد علم وتيقن أن النافع الضار هو الله وضعيف الإيمان قد يرد النعمة إلى من باشر الإنعام، وهذا يخلق فريقا ممن يتزلفون إلى المنعمين من ملوك أمراء فيقع الفساد لنشوء طبقة المنتفعين ، ويستأنس الولاة بأبواق المنافقين
- يعين على إخلاص العمل، فالذي يؤمن بالقدر لا يعمل لأجل الناس، لعلمه أنهم لن ينفعوه إلا بما كتبه الله له.
- التعلق بالرجاء بالله اذ أيقن أن الدعاء والقدر يعتلجان وربما غلب الدعاء القدر كما ورد في الحديث (إنَّ الدُّعاء يرُدُّ القضاء، وإنهما يتعالجان إلى يوم القيامة)[٤٨] فينصرف المؤمن لمناجاة ربـــــــه يحدوه تفاؤل وأمل برحمته تعالى





- االإيمان بالقدر يصنع الشجاعة والإقدام، فمؤمن القدر يوقن أنه لن يموت إلا بأجله، فيقدم غير مبال بما يطاله من الأذى في سبيل الله، فيستمد قوته من الله، والتوكل على الله تغمر المؤمن بروح المقاومة والإصرار وتشد من عزيمته.
فقوة الإيمان سر انتصار المسلمين في مواجهاتهم مع أعداء الله، هاجسهم قول ربهم تعالى: ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾[التوبة:٥١]،
ويبعث خالد بن الوليد إلى هرمز يقول له :أما بعد فأسلم تسلم، أو أعقد لنفسك وقومك الذمة، وَأَقْرِرْ بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة [٤٩]
- الثبات حال المصيبة ، قال تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾[التغابن:١١]. قال علقمة رحمه الله: (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم) [٥٠] . وقال ابن عباس: (يهدي قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه). [٥١]
فنفس المؤمنة راضية مطمئنة واثقة بعدل الله وحكمته ورحمته ويقول عمر رضي الله عنه (والله لا أبالي على خير أصبحت أم على شر لأني لا أعلم ما هو الخير لي ولا ما هو الشر لي).
- الإيمان بالقدر يهدي الى الثقة بنصر الله وقوة الرجاء به، فالمؤمن بالقدر حَسِنُ الظن بالله، قوي الرجاء به على كل حال.
- الإيمان بالقدر يعصم المؤمن من الوقوع في الحقد فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، لإيمانه بأن الله قدر فرزق وأعطى وقدّر فمنع ، فأعطى من شاء، ومنع من شاء ابتلاءً وهذا الإيمان يطمئن النفس .
- تحرير العقل من الخرافات والأباطيل، فحقيقة الإيمان بالقدر الوثوق بأن بما جرى وما يجري وما سيجري في هذا الكون إنما هو بقدر الله، وأن قدر الله سر مكتوم، لا يعلمه إلا هو، ولا يطلع عليه نبياً ولو كان خليلا ولا ملكلاً مقربا فضلا عن مفترٍ كذّاب.

ومن هذا المنطلق تجد أن المؤمن بالقدر حقيقة لا يعتمد على الدجالين والمشعوذين، ولا يذهب إلى الكهان والمنجمين والعرافين، فلا يقر بأقوالهم، ويمضي هانئا ، متحررا من الخرافات والأباطيل.

وللإيمان بالقضاء والقدر مقاصد عظيمة يصعب إحصاؤها ولكن نستطيع أن نجمل في النهاية أن الإيمان الحق بهذا المفصل العظيم يقوّم الفكر ويبنـــــــــــــي شخصية أسلامية متماسكة ثابتة تقوم على أعباء النهوض بالحضارة وقيــــــــادة الإنسانية من غير تلكؤٍ أو شكوى وبعيداً عن الميوعة المتشبثة بعَرَض الحياة الدنيا والفرحة بزينتها و تأسى وتحزن لفقـــــــــــــدها.

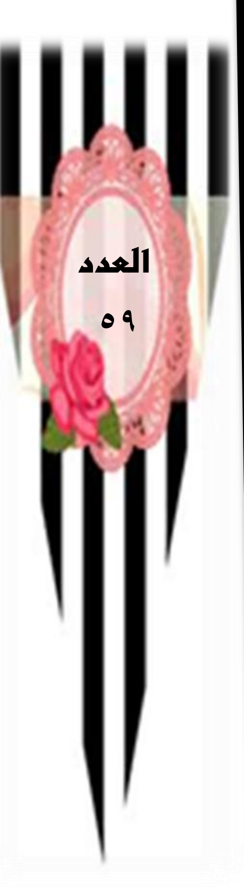
١ صفر ١٤٤١هـ
٣٠ أيلول ٢٠١٩م

وأخيرا نسأل الله أن يتقبل منا ماقدمنـــــا ، وأنْ يجعله عملًا خالصا نبتغي به مرضاته وحده، وإن زلْلنـــــا فإنما طلاب علم وعذرنـــــــــــا أنا نبتغي هداية الناس لما فيه صلاحهم .

اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، ووفقنـا لإزاحته واجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل، واجعلنا للمتقين إمامًا .

اللهم ارحم مشايخنا وأساتذتنا فقد علمونا وأدبونـــــــــــــا ، اللهم واجزهم عنا خير ما جزيت معلما عن طلابه .

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم .







هوامش البحث



١ صفر ١٤٤١هـ
٣٠ أيلول ٢٠١٩م

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن **للقرطبي ج ١٧ ص ٢٣٢**

(٣) أخرجه البخاري (فتح الباري ٩/١) ، ومسلم ١٥١٥/٣، ١٥١٦.

(٤) الدرة البهية شرح القصيدة التائية ص ١٨

(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن قيم الجوزية (١/ ٧)

(٦) من أرجوزة (سلم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول) حافظ بن أحمد الحكمي ١٣٤٢-١٣٧٧هـ".

(٧) أبو العباس أحمد بن يحيى البغدادي النحوي، الشيباني أو ثعلب (291-200ه) وسمي الرجل ثعلبا لأنه كان إذا سئل عن مسألة أجاب من هاهنا وهاهنا فشبهوه بثعلب إذا أغار

(٨) لبيد بن ربيعَة بن مَالك، أحد الشُّعَرَاء الفرسان الْأَشْرَاف فِي الْجَاهِلِيَّة ، أدْرك الْإِسْلَام ووفد على النَّبِي ﷺ ويعد من الصَّحَابَة وَمن الْمُؤَلّفَة قُلُوبهم وَترك الشّعْر فِي الْإِسْلَام وَسكن الْكُوفَة وَتُوفِّي عَام ٤١هـ.

(٩) النَّفَلُ: الْهِبَة وَالْغنيمَة.

(١٠) شاعر حكيم من الطائف، ، وهو أول من جعل في أول الكتب باسمك اللهم، فكتبتها قريش. توفي سنة خمس من الهجرة، وعن أبي هريرة ورفعه: " وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسلم ". عاش أمية حتى أدرك وقعة بدر، ورثى من قتل بها من المشركين، ولا يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً.

(١١) شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى.((ت ١٨ ق هـ) من اهل لحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها.

(١٢) ذكر هذا لبيت اللالكائي في السنة ٧٠٥/٤.

(١٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٧٧/١١.

(١٤) نفس المصدر ١٤٩/١١

(١٥) نفس المصدر ١٤٩/١١

(١٦) سورة فصلت الآية ١٢

(١٧) معالم السنن للخطابي: ٧٠/٧

(١٨) الاعتقاد للبيهقي: ص١٦٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ٧٠٢/١.

(١٩) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٧٨/٤. وانظر جامع الأصول: ١٠٤/١٠.

(٢٠) رواه مسلم (٨) ورواه ابو داود(٤٦٩٥) والترمذي (٢٦١٠) وغيرهم

(٢١) رواه أحمد في المسند (٥ / ٣١٧) ، وابن أبي عاصم في السنّة (١ / ٤٨) (رقم١٠٣)

(٢٢) رواه أحمد ٥٥/٣، وابن أبي عاصم في السنة ٧٩، والآجري في الشريعة- ٢١٦، واللالكائي١١١٦.

(٢٣) رواه احمد ٤٤١/٦ و٢٧٥٢٤ والبزار ٤٥/١٠

(٢٤) القدر لابن وهب ص ١٢١ حديث رقم (٢٦)

(٢٥) (رواه مسلم: ٢٠٤٦/٤ ورقمه: ٢٦٥٦، ورواه الترمذي: انظر صحيح سنن الترمذي ٢٢٩/٣)

(٢٦) رواه مسلم (٨).

(٢٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٨/٨)

(٢٨) شرح النووي على مسلم: ١٩٦/١٦

(٢٩) نهج البلاغة ١٧/٤ الخطبة ٧٨

(٣٠) صحيح سنن الترمذي: 2133 وقال الالباني في صحيح سنن الترمذي حسن

(٣١) صحيح البخاري: انظر فتح الباري ١٧٩/١٠، ورقم الحديث: ٥٧٢٩. وصحيح مسلم ٢٢١٩

(٣٢) المصدر نهج البلاغة صفحة ١٢٣



(٣٣) شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة اللالكائي٤/٧٥٠ وانظر الشريعة للآجري ص ٢٣٢ والإبانة لابن بطة ٢/٢٩٨)
(٣٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٣/٧٤٩.
(٣٥) شرح النووي على مســــلم ١ /١٥٠.
(٣٦) الفرق بين الفرق: ص١٩
(٣٧) بن القيم، شفاء العليل، ص/ ١٣٠.
(٣٨) الملل والنحل للشهرستاني: ١/٤٧
(٣٩) الملل والنحل: ١/٥٤
(٤٠) نقل هذا الكلام النووي في شرحه على مسلم: ١/١٥٤ عن الخطابي. وانظر جامع الأصول: ١٠/١٢٨.
(٤١) صحيح البخاري ٥٣٣٢ باب عيادة الأعراب

(٤٢) مسند الإمام أحمد ٦٣٨٤ سنن الترمذي: ٢١٤١ صححه الألباني في صحيح الجامع 88
(٤٣) سورة الرعد:١٦
(٤٤) سورة الأنعام:١٤٨
(٤٥) فتح الباري: ١١/ ٤٧٧. وراجع شرح النووي على صحيح مسلم: ١٦ / ١٩٦.
(٤٦) شرح الطحاوية: ص٢٧٦.
(٤٧) الشريعة للآجري: ص ١٤٩
(٤٨) والطبراني في الأوسط (٢٥١٩)، والحاكم ١/ ٤٩٢،
(٤٩) تاريخ الطبري ٣/٣٤٨، حياة الصحابة للكاندهلوي ١/٢٤٦
(٥٠) انظر تفسير الطبري (التغابن:١١)
(٥١) فتح الباري ٨/٦٥٢. أخرجه ابن جرير ٢٨/١٢٣



١ صفر ١٤٤١هـ
٣٠ أيلول ٢٠١٩م